مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

Vol : 6 Issue : 3 Year : 2022

المجلد: 6 العدد: 3 السنة: 2022

في هذا العدد:

- العمل التطوعي في القرآن الكريم وأثره في الإصلاح النفسي
  تهاني بنت سالم أحمد باحويرث
- الأوامر والنواهي الأخلاقية في سورة الكهف: دراسة موضوعية تحليلية
  هند بنت محمد زاهد سردار
- دلالات الخير في ضوء القرآن الكريم
  شافع الحريري
- تنمية القيم الخُلقية في ضوء حادثة الإفك: دراسة موضوعية تحليلية
  عفاف عطية الله المعبدي
- حُرِّيَّة الامتثال للأمر الإلهي –مُصْطَلَحَات واستدلالات– دِراسَة نقديَّة في ضَوء القُرآن الكريم
  وليد بن عبد المحسن بن أحمد الغُمري
- حقيقة المعجزة في الكتاب والسُّنة
  زهرة شعبان سعيد المازني
- الموازنة بين الأصول والفروع في عموم المشترك اللفظي: دراسة تحليلية نقدية في ضوء مقررات المذاهب الأربعة
  عدنان بن زايد بن محمد الفهمي
- وقف الدواء: دراسة فقهية مقارنة
  مساعد بن عبدالرحمن علي آل جابر
- الأحكام التي يختلف فيها السفر الطويل والقصير في المذهب الحنبلي
  محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الشهري
- قاعدة الأعمى كالبصير واستثناءاتها: البيع والشراء نموذجًا
  أمل محمد ظافر العرجاني
- البعد الحضاري للفتح الإسلامي للقدس من خلال الدراسات الاستشراقية
  سلطانة بنت عمر بن ستر اللحياني
- شُبُهات المرجئة النقلية
  عبدالرحيم بن صمايل بن صويمل السلمي
- نظام الطبقات في الهندوسية وأثره على الهندوس وموقف كل من البوذية والإسلام منه
  عامر علي النعيمي
- أثر الجهل والهوى على تفكير المسلم من خلال مؤلفات ابن القيم
  عبدالرحمن محمد ربعين

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES
AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

eISSN 2600-7096

eISSN: 2600-7096
V.6, Issue. 3, Sep 2022

THE EFFECTS OF IGNORANCE AND DESIRES ON MUSLIM THINKING THROUGH IBN AL-QAYYIM'S BOOKS

Abdul Rahman Muhammed Rubayn
Lecturer at the Islamic Dawah and Civilization Department
College of Da`wah and Fundamentals of Religion - Umm Al-Qura University in Makkah - Makkah Al-Mukarramah
Email: amrobean@uqu.edu.sa

Abstract
The human intellect and his ability to complex thinking is a characteristic that Allah has given him above all his creatures. Islam came to encourage the utilization of the mind by thought, contemplation and consideration of the kingdom of Allah, His signs and religion, and He gave us a set of legislations that preserves the mind and protects it from falling into error or deviation. This research sheds light on one aspect of thinking by studying the writings of a scholar of Islam, Imam Ibn al-Qayyim, in whose work this practice was clearly manifested in terms of the utilization of the mind and the use of a set of tools and regulations related to thinking and avoiding its flaws, which contributed to the strength of their discourse and the intellectuality of their writings and their impact on a period of many and long centuries. The researcher focuses on an aspect of the thinking of Imam Ibn al-Qayyim, which is related to the flaws of thinking that negatively affect the human mind. The researcher arrived at two main flaws after tracking his works: the first is the flaw of ignorance, and the second is the flaw of desire, and he explained how he dealt with these two vices and explained them through his writings and books..
Keywords: Ignorance, Desire, Thinking, Ibn al-Qayyim.

جامعة المدينة العالمية
مجلة العلوم الإسلامية الدولية

eISSN: 2600-7096
المجلد.6، العدد 3، سبتمبر 2022م

أثر الجهل والهوى على تفكير المسلم من خلال مؤلفات ابن القيم

عبدالرحمن محمد ربعين

محاضر بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى بمكة – مكة المكرمة

ملخص البحث

يعد عقل الإنسان وقدرته على التفكير المركب خصيصة اختصه الله بها عن سائر مخلوقاته، وجاء الإسلام بالحث على إعمال العقل بالتفكر والتدبر والنظر في ملكوت الله وآياته ودينه، وجاء بجملة من التشريعات والتوجيهات التي تصون العقل وتحميه من أن يقع في الخطأ أو الانحراف. وهذا البحث يسلط الضوء على أحد جوانب التفكير من خلال دراسة مؤلفات عالم من علماء الإسلام وهو الإمام ابن القيم الذي تجلت هذه الممارسة عنده تجليا واضحا من حيث إعمال العقل واستخدام مجموعة من الأدوات والضوابط المتعلقة بالتفكير وتجنب آفاته مما ساهم في قوة خطابهم ورصانة مؤلفاتهم وتأثيرها على مدى قرون عديدة وطويلة. ويركز الباحث على جانب من جوانب التفكير عند الإمام ابن القيم وهو المتعلق بآفات التفكير التي تؤثر سلبا على عقل الإنسان، وتوصل الباحث بعد تتبع لمؤلفاته إلى آفتين رئيستين: الأولى آفة الجهل، والثانية آفة الهوى، وأوضح كيف عالج هاتين الآفتين وبينهما من خلال مؤلفاته وكتبه.

الكلمات المفتاحية: الجهل، الهوى، التفكير، ابن القيم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من أجل نعم الله على بني آدم هذا العقل الذي ركبه فيهم وميزهم به عن سائر مخلوقاته، وجعل تحمّل التكليف مناطا به، وهدى الإنسان إلى الطرائق الصحيحة لإعمال هذه الأداة، والمسارات التي يجول فيها كي لا يتخبط، وأحاطه بجملة من التشريعات والأحكام التي تحميه من أن يقع في الزلل والخرافة والوهم، وحث في مواضع كثيرة من الوحي إلى إعمال هذا العقل في تدبر آياته والنظر في أحكامه للوصول إلى هدايات الله فيها، وقد امتثل أهل الإسلام من الصحابة ومن بعدهم تلك التوجيهات فتحقق لهم من العمق في فهم كلام الله ودينه وأحكامه ورد العاديات عليه ما يدهش ويبهر، وأصبح العقل الإسلامي عقلا متميزا عن سواه من العقول في نظره وتفكيره وتأمله واستنباطه مما يحدو الناظر إلى أن يتلمس جوانب هذا التميز.

وتعرِض لعقل الإنسان وتفكيره بعض الآفات التي تؤثر في عمله وتحول بينه وبين الوصول للنتائج الصحيحة والآراء المستقيمة، وهذه الآفات تختلف مراتبها ويتفاوت وجودها بين الأشخاص، والنجاة منها مهمٌّ كي يسلم للإنسان تفكيره.

ومن العلماء الأفذاذ الذي تشهد له تصانيفه ومؤلفاته بعبقرية وألمعية عالية، الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله، لذا أردت في هذا البحث أن أستعرض ما كتبه حول آفتين من أبرز آفات التفكير: الأولى آفة الجهل، والثانية آفة الهوى، مبينا كيف نقدهما وما هي سبل علاجها من خلال مؤلفاته وكتبه.

مشكلة البحث:

وهب الله العقل للإنسان ليفكر به ويتوصل من خلاله للحق والهدى والصواب، وهذا العقل بطبيعته البشرية الناقصة تعتريه آفات ومشكلات تمنعه من الوصول للنتائج الصحيحة من أبرزها: آفة الجهل وآفة الهوى، فما مدى تأثيرها على تفكير الإنسان وكيف يمكن الوقاية منها وعلاجها؟ هذا ما حاولت في البحث الإجابة عنه وإبرازه من خلال مؤلفات الإمام ابن القيم رحمه الله.

أهداف البحث:

1. تعريف التفكير وبيان اهتمام دين الإسلام به وحثه عليه.
2. إبراز دور علماء الإسلام العلمي والفكري في التاريخ والحضارة البشرية وإسهامهم في تقدمها.
3. بيان خطورة الجهل وعميق أثره في حياة الفرد وتصرفاته.
4. بيان خطورة الهوى على الإنسان وكيف يقوده للضلال والانحراف.

أهمية البحث:

1. التراث الغزير الذي خلفه الإمام ابن القيم رحمه الله وما يحويه من علوم ومعارف في شتى مجالات الشريعة.
2. إبراز لأحد الجوانب المشرقة والمهمة في التراث العلمي لعلماء المسلمين وهو ما يتعلق بالتفكير.
3. استلهام تلك النماذج والمنهجيات في واقع الثقافة الإسلامية المعاصرة.

منهج البحث:

سلكت في البحث المنهج التالي:

1. المنهج الاستقرائي: أستقرئ فيها نتاج الإمام ابن القيم للوصول للنماذج المتعلقة بالبحث واستخراجها.
2. المنهج التحليلي: دراسة النماذج المستخرجة وتحليلها على ضوء المنهجية الصحيحة.

الدراسات السابقة للموضوع:

رغم كثرة الكتابات التي كتبت حول ابن القيم في مختلف العلوم الشرعية نظرا لتنوع نتاجه ومؤلفاته، إلا أنني من خلال البحث في المواقع الإلكترونية والمصادر المتخصصة لم أجد من كتب حول هذا الموضوع الذي اخترته.

التمهيد

- **تعريف التفكير.**

الفِكر والفَكر: إعمال الخاطر والنظر في الشيء، والتفكّر: التأمل، قال الليث: التفكُّر اسم التفكير. والمصدر: الفكر[1].

فيتبين أن التفكير عملية ذهنية قائمة على التأمل والنظر في أمر من الأمور للوصول لنتائج وحقائق معينة، فهو (سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة) [2].

---

[1] انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، ط5 (783/2)، ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة (65/5)، مجد الدين الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ط8 (588).

[2] فتحي جروان، **تعليم التفكير**، دار الفكر، ط3 (40).

- **أهمية التفكير وضرورة العناية به.**

1) حث القرآن على التفكير.

جاء في القرآن الكريم مواضع عديدة تحث على التفكر وتقليب النظر والتأمل في أحوال البشر وفي الكون لاكتشاف السنن التي أودعها الله فيها، ومن تلك المواضع ما يلي:

أ- في مجال التوحيد والدلالة على خالق هذا الكون يقول سبحانه ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آل عمران: 190-191]

ويشير ربنا إلى حياة عالم النحل المدهش ودلالته على وجود بارئه فيقول: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[النحل: 68-69]

ب- يخبر الله سبحانه أن من أهم ما أُنزل القرآن لأجله هو حث العقل الإنساني على التفكر والتدبر، فيقول عز وجل: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: 44]، ويقول تبارك وتعالى:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص: 29]

ج- احتلت القصص في القرآن مساحة واسعة وقسطًا كبيرًا، وقد أبان الله لنا عن أحد أهداف تلك القصص المتمثل في التفكر واستخلاص العبر الهادية للناس في مسيرة حياتهم، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[الأعراف: 176]

هذه أمثلة ليست للحصر تدل على منزلة التفكير في الدين وعناية القرآن به مما يؤكد على أهميته وضرورة الاهتمام به في حياتنا عامةً وبيئاتنا العلمية خاصةً.

2) التفكير ميزة النوع الإنساني.

خلق الله الخلق وكرّم الإنسان وميزه عن سائر مخلوقاته بالعقل الذي وهبه إياه، وحين يُعطّل الإنسان عقله وتفكيره فإنه يقترب من الحياة البهيمية بقدر ذلك، وقد أخبر الله في كتابه العزيز أن الكفار بكفرهم وتعطيلهم لعقوهم أصبحوا أضل من الأنعام: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان: 44]، فلا تستقيم للإنسان أمور دينه ودنياه حين يهمل عقله ويعطل تفكيره.

3) التفكير مهم لفحص العلوم والمعارف ومقارنة المصادر.

يعد التفكير أداة مهمة في تلقي العلم والمعرفة، إذ يعطي صاحبه القدرة على تميز الجيد من الرديء والصحيح من المعتل، من خلال النظر الفاحص وتأمل المعطيات المتاحة.

ويتأكد ذلك في السياق الذي نعيشه اليوم إذ كثرت وسائل تلقي المعلومات وتيسرت في أيدي معظم الناس وأصبحت تُروّج فيها كثير من المغالطات والشبه الزائفة التي تحتاج لشيء من التفكير المستقيم ليظهر عوارها وينكشف [1].

- **نبذة عن ابن القيم.**

▪ **اسمه ونسبه:** أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حُرَيز الزُّرَعي، المعروف بابن قيم الجوزية.

و(قيّمُ الجوزية) هو لقب والده الشيخ أبي بكر بن أيوب إذ كان قائماً على المدرسة الجوزية بدمشق فترة من الزمن فلُقِّب بذلك ونُسب إليه أولاده وأحفاده من بعده.

والجوزية من أعظم مدارس الحنابلة بدمشق، وهي منسوبة إلى واقفها (ابن الجوزي) محيي الدين يوسف ابن الإمام الواعظ المشهور أبي الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة 656هـ[2].

▪ **مولده ونشأته.**

تتفق كتب التراجم على أن ولادة ابن القيم كانت في سنة 691هـ، وعَيّنَ الصَّفَديّ اليومَ والشهرَ فذكر أنها كانت تحديداً في اليوم السابع من شهر صفر.[3]

وقد نشأ رحمه الله في بيت دين وعلم وفضل، فوالده الشيخ أبو بكر بن أيوب قال عنه ابن كثير: (الشيخ الصالح العابد الناسك أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي، قيم الجوزية كان رجلاً صالحًا متعبدًا قليل التكلف، وكان فاضلاً وقد سمع شيئًا من دلائل النبوة عن الرشيد العامري).[4]

---

[3] انظر: عبد الكريم بكار، **فصول في التفكير الموضوعي**، دار القلم، ط5 (15)، خليل عبد الله الحدري، **منهجية التفكير العلمي في القرآن**، دار عالم الفوائد، ط1 (30).

[2] ينظر: بكر أبوزيد، **ابن القيم حياته آثاره موارده**، دار العاصمة، ط1 (23).

[3] ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي (195).

[4] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، ط1 (95/14).

وكان له في الفرائض يدٌ وقد أخذها عنه ابنه الإمام شمس الدين ابن القيم.[1]

وكذلك أخوه زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي بكر ولد بعده بسنتين، وشارك أخاه في أكثر شيوخه، ومن تلامذته الحافظ ابن رجب رحمهم الله.

وأيضا ابن أخيه زينِ الدين، وهو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن زين الدين عبدالرحمن، كان من الأفاضل وقد اقتنى أكثر مكتبة عمه شمس الدين، وتوفي سنة 799هـ[2].

- **علومه ومؤلفاته.**

برع ابن القيم رحمه الله في شتى علوم الشريعة واللغة، إذ كان مجدا في طلبه للعلم وملازما للتحصيل ليلاً ونهارًا.

يقول عنه الصفدي: "واشتغل كثيرا وناظر واجتهد وأكبّ على الطلب وصنف وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحديث والأصول فقها وكلام والفروع والعربية، ومل يُخلّف العلامة تقي الدين ابن تيمية مثله".[3]

ويقول تلميذه ابن رجب: "وتفقه في المذهب وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيهما المنتهى، والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يُلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالما بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى" [4].

ونتيجة لهذه الموسوعية المدهشة في التحصيل والتفنن في العلوم فإن مؤلفاته رحمه الله قد تنوعت واتسمت بالعمق والقوة.[5]

ومن أهم ما وصلنا منها ما يلي:

1. زاد المعاد في هدي خير العباد.
2. أعلام الموقعين عن رب العالمين.

---

[1] ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل، **الوافي بالوفيات** (195)، ابن حجر، أحمد بن علي، **الدرر الكامنة**، دار إحياء التراث العربي، ط1 (401).

[2] ينظر: بكر أبو زيد، **ابن القيم حياته آثاره موارده** (37) وما بعدها.

[3] الصفدي، صلاح الدين خليل، **الوافي بالوفيات** (196).

[4] ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد، **الذيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق عبدالرحمن العثيمين، دار العبيكان، ط1 (171).

[5] أحصى الشيخ بكر أبو زيد ما ألفه ابن القيم دون المكرر ودون ما استُل من أحد كتبه فبلغت 98 مؤلفا، وما وصلنا منها 32 فقط. انظر: **ابن القيم حياته آثاره موارده**.

3. مدارج السالكين في منازل السائرين.
4. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.
5. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.
6. بدائع الفوائد.
7. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.
8. إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان.
9. طريق الهجرتين.
10. الداء والدواء.
11. الروح.
12. روضة المحبين.
13. التبيان في أيمان القرآن.
14. تهذيب سنن أبي داوود وإيضاح علله ومشكلاته.

وغير ذلك.

- وفاته.

توفي ابن القيم في الثالث عشر من شهر رجب سنة 751هـ وله من العمر ستون سنة، وكانت وفاته بدمشق وصلي عليه في الجامع الأموي وحضر جنازته عدد غفير من الأعيان والقضاة والصالحين، وتزاحم الناس على حمل نعشه رحمه الله رحمة واسعة [1].

المبحث الأول: آفة الجهل

يعد الجهل من أكبر مهددات عقل الإنسان وتفكيره، وآفة من الآفات التي تجعله ينحرف عن الطريق الصحيح وتوصله لعواقب وخيمة ومآلات فاسدة.

فالعقل مِنّةٌ ونعمةٌ وهبها الله للإنسان وميَّزه به عن غيره من المخلوقات وأمره بإعماله وعدم تعطيله، لكن هذا العقل لا يستطيع وحده الوصول للحقائق ما لم تُمِدُّهُ أنوار العلم والمعرفة، ولذلك أنزل الله وحيه على أنبيائه

[1] ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **البداية والنهاية** (523)، ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد، **الذيل على طبقات الحنابلة** (176).

ليكون هادياً للبشر ومتمماً لهم ما يحتاجونه للوصول إلى سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

يقول ابن القيم رحمه الله في التأكيد على مكانة العلم وأهميته والتحذير مما يضاده وهو الجهل: "ولهذا عظمت وصية القوم بالعلم، وحذروا من السلوك بلا علم، وأمروا بهجر من هجر العلم وأعرض عنه، وعدم القبول منه، لمعرفتهم بمآل أمره، وسوء عاقبته في سيره، وعامة من تزندق من السالكين فلإعراضه عن دواعي العلم، وسيره على جادة الذوق والوجد، ذاهبة به الطريق كل مذهب، فهذا فتنته والفتنة به شديدة"[1].

ويجعل رحمه الله أصل البلاء كله من الجهل وعدم العلم، فيقول: "فأصل البلاء كله من الجهل وعدم العلم ولهذا قال الصحابة كل من عصى الله فهو جاهل"[2].

ويقول أيضًا مؤكدًا ضرر الجهل وأثره في إفساد أحوال العالم والحاجة الماسة للعلم كلَّ حين ووقت: "فما خراب العالم إلا بالجهل، ولا عمارته إلا بالعلم، وإذا ظهر العلم في بلد أو محلة قل الشر في أهلها، وإذا خفى العلم هناك ظهر الشر والفساد، ومن لم يعرف هذا فهو ممن لم يجعل الله له نورًا.

قال الإمام أحمد: ولولا العلم كان الناس كالبهائم، وقال: الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثا، والعلم يحتاج إليه كل وقت"[3].

المطلب الأول: ملامح تحليلية لآفة الجهل عند الإنسان

1. الجهل نوعان: عدم العلم بالحق، وعدم العمل به.

لا يقتصر الجهل عند ابن القيم على عدم المعرفة وحسب، وإنما يمتد ليشمل كذلك عدم العمل بمقتضى العلم الموجود في النفس، يقول رحمه الله مقررا ذلك: "الجهل نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه، فكلاهما جهل لغةً وعرفًا وشرعًا وحقيقةً، قال موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: 67]

، لما قال له قومه: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: 67]، أي من المستهزئين، وقال يوسف الصديق: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: 33].

أي من مرتكبي ما حرمت عليهم، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: 17]، قال قتادة: أجمع أصحاب رسول

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين** (1 / 241).

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **شفاء العليل** (2 / 59).

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **أعلام الموقعين** (3 / 134).

الله صلى الله عليه وسلم أن كل ما عصي الله به فهو جهالة، وقال غيره: أجمع الصحابة أن كل من عصى الله فهو جاهل، وقال الشاعر:ألا لا يجهلن أحد علينا .. فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وسمي عدم مراعاة العلم جهلاً، إما لأنه لم ينتفع به، فنزل منزلة الجهل، وإما لجهله بسوء ما تجني عواقب فعله).[1]

وبناء عليه فإن إدراك الإنسان للحق ومعرفته بالصواب لا يكفي لانتفاء وصف الجهل عنه حتى يعمل بمقتضى هذه المعرفة.

2. اعتبار الجهل مرضا من أمراض القلوب.

يُقسّم ابن القيم الأمراض التي تصيب القلب إلى قسمين: حسيٍّ ومعنويٍّ، فالأول يحس الإنسان بألمه في الحال، والثاني لا يتألم منه إلا بمرور الزمن وتعاقب الأيام، ويجعل هذا الأخير أشد خطرًا وأعظم ألماً من الأول، والجهل أحد تلك الأمراض المعنوية التي تحل بالقلب وتفسده وتوهن قوته، يبين ذلك رحمه الله فيقول: "مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال، وهو النوع المتقدم، كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات، وهذا النوع هو أعظم النوعين ألما، ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوارٍ عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما، وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم، فهم أطباء هذا المرض"[2] .

ويقول أيضًا مؤكدًا ذلك ومبينًا الطريق الخاطئ الذي يسلكه بعض الناس في مداواة الألم الناتج عن الجهل: "وكذلك الجهل مرض يؤلم القلب، فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع، ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم، وهي في الحقيقة إنما تزيده مرضا إلى مرضه، لكن اشتغال القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه، بسبب جهله بالعلوم النافعة، التي هي شرط في صحته وبرئه، وقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الذين أفتوا بالجهل، فهلك المستفتي بفتواهم: "قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال"، فجعل الجهل مرضا وشفاءه سؤال أهل العلم"[3].

فالدواء الصحيح النافع لمرض الجهل هو العلم النافع المتلقى عن الرسل والأنبياء عليهم السلام وأتباعهم من أهل العلم الراسخين.

3. الجهل البسيط والجهل المركب.

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين** (2 / 115).

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان** (26/1).

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان** (1 / 27).

يميّز ابن القيم في كثير من المواضع مرتبتين للجهل هما: الجهل البسيط والجهل المركب، فالجهل البسيط أن لا يعلم الإنسان الشيء على وجهه الصحيح ولا يعلم ما يضاده، والمركب ألا يعلمه ويعلم ما يضاده، ويجعل الثاني أشد من الأول، يبيّن ذلك رحمه الله: "الجهل قسمان: بسيط وهو عبارة عن عدم المعرفة مع عدم تلبس بضد، ومركب وهو جهل أرباب الاعتقادات الباطلة، والقسم الأول هو الذي يطلب صاحبه العلم أما صاحب الجهل المركب فلا يطلبه"[1] .

والملحوظة الأخيرة من ابن القيم ملحوظة عميقة ودقيقة في أثر هذا على التفكير، فصاحب الجهل البسيط لفراغ قلبه عن العلم يبحث عما يملؤه به، أما صاحب الجهل المركب، فإنه لا يطلب العلم لظنه أن ما معه صواب يكفيه ويغنيه، فيكون مانعا لتفكيره من الصحة والسلامة.

ويؤكد ابن القيم أن جهل أصحاب المعتقدات البدعية هو من الجهل المركب وأن من أسبابه التقصيرَ في بث العلم الصحيح فيقول رحمه الله: "ومصداق هذا أن ما وقع في هذه الأمة من البدع والضلال كان من أسبابه التقصير في إظهار السنة والهدى، فإن الجهل المركب الذي وقع فيه أهل التعطيل والنفي في توحيد الله وأسمائه وصفاته كان من أعظم أسبابه التقصير في إثبات ما جاء به الرسول عن الله وفي معرفة معاني أسمائه وآياته"[2] .

4. السيئات كلها ترجع إلى الجهل.

يجعل ابن القيم السيئات كلها راجعة إلى الجهل، يقول رحمه الله موضحا ذلك: "وأما السيئات فمنشأها من الجهل والظلم، فإن العبد لا يفعل القبيح إلا لعدم علمه بكونه قبيحا أو لهواه وشهوته مع علمه بقبحه، فالأول جهل والثاني ظلم، ولا يترك حسنة إلا لجهله بكونها حسنة أو لرغبته في ضدها لموافقته هواه وغرضه، وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل، وإلا فلو كان علمه تاما برجحان ضررها لم يفعلها فإن هذا خاصة العقل"[3] .

فالجهل مؤثر في تفكير الإنسان وعقله من حيث سلبه القدرة على تمييز الضرر الراجح في الأفعال فيقع بسبب ذلك في الذنوب ويرتكب المنهيات.

5. الجهل موت لأصحابه.

لعِظم أثر الجهل على الإنسان وصحة منطقه وسلامة تفكيره فإن ابن القيم يجعل أهلَ الجهل موتى وإن كانوا أحياء، لقلة نفعهم وانتفاعهم، يقول رحمه الله: (فإن الجهل موت لأصحابه، كما قيل:

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد** (4 / 1664).

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **الصواعق المرسلة** (2 / 744).

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **شفاء العليل** (2 / 56).

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله .. وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم .. فليس لهم قبل النشور نشور

فإن الجاهل ميت القلب والروح، وإن كان حي البدن فجسده قبر يمشي به على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: 122][1]

المطلب الثاني: مآلات الجهل وعواقبه

يرصد ابن القيم بعض الانحرافات والضلالات التي حصلت لطوائف من المسلمين ويحلل أسبابها ليصل إلى أن الجهل كان عاملا مؤثرا فيها وأحد أهم أسبابها، ومن ذلك:

1) الجهل أحد أسباب الافتتان بالقبور.

مع تطاول الزمن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتعاقب الأيام أطلّت الفتنُ والشُّبَهُ برأسها على مجتمعات المسلمين، وظهرت البدع المخالفة للمنهج الحق في عدد من أبواب الدين، وهذا مصداق ما جاء في الحديث عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟

قال:" أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ" [2].

وكان من تلك البدع تعظيم الصالحين والغلو فيهم واتخاذ الشيوخ وسائط بين العبد وبين ربه وطلب الحاجات منهم، والتوجه لقبورهم بعد مماتهم بأنواع من العبادة كالطواف والدعاء وغيرها، وهي أفعال مخالفة لأس الدين وجوهره الذي اتفقت عليه دعوات الأنبياء جميعا من صرف العبادة لله وحده دون سواه وتعليق القلب به.

وحين تعرض ابن القيم لهذه المسألة وجاء يبين سبب وقوع هؤلاء في تلك المحدثات جعل أول أسباب ذلك الجهل، يقول رحمه الله: "فإن قيل: فما الذي أوقع عباد القبور في الافتتان بها، مع العلم بأن ساكنيها أموات، لا يملكون لهم ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورا؟

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين** (4 / 165).

[2] أبو داود، **سنن أبي داوود** (4607)، والترمذي، **سنن الترمذي** (2676).

قيل: أوقعهم في ذلك أمور:

منها: الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله، بل جميع الرسل من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك، فقل نصيبهم جدا من ذلك، ودعاهم الشيطان إلى الفتنة، ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته، فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل، وعصموا بقدر ما معهم من العلم"[1] .

2) الجهل بالوحي وبالعقل سبب ظن وجود التعارض بينهما.

خلق الله العقل للإنسان وأنزل له الوحي وجعلهما متآلفين يوافق أحدهما الآخر ويعضده، قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [لأعراف: 54]، فلا يمكن أن يقع تعارض بين خلق وأمره عز وجل إذا فهما فهما صحيحا.

ولما ادعى بعض المبتدعة التعارض بين العقل والشرع تصدى لهم جم غفير من علماء الإسلام وكان من بينهم ابن القيم رحمه الله، وأوضح أن هذه الدعوى ناتجة عن جهل منهم بالوحي أو جهل بالعقل أو بهما معا، يقول موضحا ذلك: "إن هذه المعارضة بين الوحي والعقل نتيجة جهلين عظيمين جهل بالوحي وجهل بالعقل.

أما الجهل بالوحي فإن المعارض لم يفهم مضمونه وما دل عليه بل فهم منه خلاف الحق الذي دل عليه وأريد به ثم عارض ما دل عليه بالرأي والمعقول، ونحن ننزل معه درجة ونبين أن المعقول الذي ذكره لا يصلح لمعارضة المعنى الباطل الذي فهمه من الوحي فضلا عن المعنى الصحيح الذي دل عليه الوحي، فإنه يستحيل أن يعارض معارضة صحيحة البتة بل هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، والله تعالى هو الحق وكلامه حق ورسوله حق ودينه حق ووحيه حق وما خالف ذلك فهو الباطل المحض الذي لا يقوم على صحته دليل، بل الأدلة الصحيحة التي تنتهي مقدماتها إلى الضروريات تدل على بطلانه.

وأما الجهل بالعقل فإنه لا يتصور أن يعارض العقل الصحيح الوحي أبدا، ولكن الجاهل يظن أن تلك الشبهة عقلية وهي جهلية خيالية من جنس شبه السوفسطائية"[2] .

3) الجهل بحقيقة الدين وحقيقة النعيم الأخروي سبب لإيثار بعض الناس الدنيا على الآخرة.

وصف الله لعباده من أنواع نعيم الجنة ما يحمل على طلبها والرغبة فيها وبذل كل شيء للفوز بها، وما لم يصفه سبحانه أكبر وأعظم كما جاء في الحديث القدسي: "قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين، ما

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان** (1 / 387).

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **الصواعق المرسلة** (2 / 807)

لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[1].

أخبر المولى عن حقيقة هذه الدنيا وفنائها وأنها لا تستدعي التعلق بها والإخلاد إليها وإيثارها على ما عنده، كما قال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾ [الرعد: 26]، وقال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ [القصص: 60] ، وبالرغم من ذلك فإنه حصل من بعض المسلمين إيثارهم الدنيا على الآخرة والتقصير في طلب نعيمها والانهماك في السعي لدنياهم، فيرى ابن القيم أن سبب ذلك عائد للجهل بحقيقة الدين والجهل بحقيقة النعيم الأخروي فيقول واصفًا هذا الخلل وسببه: (فإنه من المعلوم: أن العبد وإن آمن بالآخرة فإنه طالب في الدنيا لما لا بد له منه: من جلب النفع، ودفع الضر، بما يعتقد أنه مستحب أو واجب أو مباح. فإذا اعتقد أن الدين الحق واتباع الهدى، والاستقامة على التوحيد، ومتابعة السنة ينافي ذلك، وأنه يعادي جميع أهل الأرض لما لا يقدر عليه من البلاء، وفوات حظوظه ومنافعه العاجلة، لزم من ذلك إعراضه عن الرغبة في كمال دينه، وتجرده لله ورسوله، فيعرض قلبه عن حال السابقين المقربين، بل قد يعرض عن حال المقتصدين أصحاب اليمين، بل قد يدخل مع الظالمين، بل مع المنافقين، وإن لم يكن هذا في أصل الدين كان في كثير من فروعه وأعماله، كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم:

"بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي كافرا ويصبح مؤمنًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا"[2].

وذلك أنه إذا اعتقد أن الدين الكامل لا يحصل إلا بفساد دنياه، من حصول ضرر لا يحتمله، وفوات منفعة لابد له منها، لم يقدم على احتمال هذا الضرر، ولا تفويت تلك المنفعة، فسبحان الله، كم صدت هذه الفتنة الكثير من الخلق، بل أكثرهم عن القيام بحقيقة الدين.

وأصلها ناشئ من جهلين كبيرين: جهل بحقيقة الدين، وجهل بحقيقة النعيم الذى هو غاية مطلوب النفوس، وكمالها، وبه ابتهاجها والتذاذها، فيتولد من بين هذين الجهلين إعراضه عن القيام بحقيقة الدين، وعن طلب حقيقة النعيم"[3] .

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري** (3244)، ومسلم، **صحيح مسلم** (2824).

[2] مسلم، **صحيح مسلم** (118).

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان** (2 / 921).

المطلب الثالث: علاج آفة الجهل

ثم يبيّن ابن القيم رحمه الله طريق الخلاص من آفة الجهل والتحرز من أضرارها، وأن ذلك يكون بالعلم النافع الذي يؤتيه الله للعبد، فيقول: "والإنسان خلق في الأصل ظلومًا جهولا، ولا ينفك عن الجهل والظلم إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه، ويلهمه رشده، فمن أراد به الخير علمه ما ينفعه، فخرج به عن الجهل، ونفعه بما علمه، فخرج به عن الظلم، ومتى لم يرد به خيرا أبقاه على أصل الخلقة، كما في المسند من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل".

فالنفس تهوى ما يضرها ولا ينفعها، لجهلها بمضرته لها تارة، ولفساد قصدها تارة، ولمجموعهما تارة، وقد ذم الله تعالى في كتابه من أجاب داعي الجهل والظلم، فقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: 50] وقال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: 23].

فأصل كل خير: هو العلم والعدل، وأصل كل شر: هو الجهل والظلم"[1] .

ولذلك تشتد حاجة الإنسان إلى سؤال الله وطلبه أن يعلمه ويرشده ويهديه ويعينه على اتباع الحق بعد معرفته، يقول ابن القيم مؤكدًا ذلك: "ثم لما كان الهدى والفلاح والسعادة لا سبيل إلى نيله إلا بمعرفة الحق وإيثاره على غيره وكان الجهل يمنع العبد من معرفته بالحق والبغي يمنعه من إرادته كان العبد أحوج شيء إلى أن يسأل الله تعالى كل وقت أن يهديه الصراط المستقيم تعريفا وبيانا وإرشادا وإلهاما وتوفيقا وإعانة فيعلمه ويعرفه ثم يجعله مريدًا له قاصدًا لاتباعه فيخرج بذلك عن طريقة المغضوب عليهم الذين عدلوا عنه على عمد وعلم والضالين الذين عدلوا عنه عن جهل وضلال"[2].

المبحث الثاني: آفة الهوى

المطلب الأول: تعريف الهوى

الهوى ميل النفس لأمر ومحبتها له، وهوى النفس: إرادتها، والجمع الأهواء.

قال اللغويون: الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه؛ قال الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ

---

[1] **المصدر نفسه** (2 / 858).

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد** (2 / 440).

وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ [النازعات: 40]

معناه : نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله – عز وجل –.

قال الليث: الهوى مقصور هوى الضمير، تقول: هوي، بالكسر، يهوى هوى أي: أحب[1].

والهوى في الشرع: خلاف الهدى، والخروج عن موجب الكتاب والسنة والهدي الصحيح[2] .

المطلب الثاني: التحذير من الهوى في القرآن

يعد الهوى إحدى الآفات التي تعتري التفكير وتؤثر فيه وتقطع طريقه في الوصول للحقائق والنتائج الصحيحة، ولذا اعتنى القرآن بالتنبيه على هذه الآفة والتحذير منها وبيان خطرها في عدد من الآيات، منها ما يلي:

1. قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النساء: 135].

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النساء: 135]، نهي فإن اتباع الهوى مرد، أي مهلك، قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: 26]

، فاتباع الهوى يحمل على الشهادة بغير الحق، وعلى الجور في الحكم، إلى غير ذلك[3] ."

ويقول الشيخ السعدي في تفسيره للآية: "أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلا والباطل حقا، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه وفق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم[4] ."

2. قوله عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: 50]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "فهذا من أضل الناس، حيث عرض عليه الهدى، والصراط المستقيم، الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أضل ممن هذا

---

[1] ينظر: **لسان العرب** (170/15).

[2] ينظر: العقل، ناصر عبدالكريم، **دراسات في الأهواء والفرق والبدع** (25/1.(

[3] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن** (413/5).

[4] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن** (209).

وصفه؟[1]."

وقد جعل الله سبحانه اتباع الهوى قسيما ومقابلا لاتباع الوحي وتحكيم الشرع، فقال لنبيه داود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: 26]، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: 50] ، فإما الاستجابة للشرع وإما اتباع الهوى [2] .

المطلب الثالث: نقد ابن القيم لآفة الهوى

اهتم ابن القيم رحمه الله بالكشف عن هذه الآفة في مصنفاته وتبيين بعض أضرارها ومفاسدها، وكيفية النجاة والتخلص منها، ويمكن إبراز ذلك في النقاط التالية:

1) اتباع الهوى سبب لفساد العالم وفساد الدين.

يقول ابن القيم مقررًا ذلك: "وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد"[3].

ويقول في إفساد الهوى للدنيا والدين: "ففساد الدنيا والدين من تقديم المتشابه على المحكم، وتقديم الرأي على الشرع والهوى على الهدى، وبالله التوفيق"[4] .

فالهوى ما خالط شيئًا إلا أضر به وأفسده، إن وقع في العلم أخرج صاحبه إلى البدعة والضلال، وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء، وإن وقع في العبادة أخرجها عن أن تكون طاعة وقربة، وإن وقع في الحكم أخرجه إلى الجور والظلم [5] .

2) اتباع الهوى يفسد العقل والرأي.

يبين ابن القيم أثر الهوى على عقل الإنسان ورأيه، وأنه يعمي بصيرة القلب ويجعل الحق ملتبسا عليه

---

[1] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن** (618).

[2] ينظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الاعتصام** (1/ 68)، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **الصواعق المرسلة** (2 / 674)، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **روضة المحبين** (635).

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **أعلام الموقعين** (1 / 144).

[4] **المصدر نفسه** (3 / 213).

[5] ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **روضة المحبين** (635).

ويظهر له الحسن في صورة القبيح، يقول رحمه الله: "فإن اتباع الهوى يطمس نور العقل، ويعمي بصيرة القلب، ويصد عن اتباع الحق، ويضل عن الطريق المستقيم، فلا تحصل بصيرة معه البتة، والعبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظره، فأرته نفسه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، فالتبس عليه الحق بالباطل، فأنى له الانتفاع بالتذكر، أو بالتفكر، أو بالعظة؟"[1] .

ويجعل رحمه الله الهوى مقابلاً ومعارضًا للعقل، فإن العقل لا يدعو إلى استقباح ما أمر الله به أو استحسان ما نهى عنه بخلاف الهوى الذي يدعو غالبًا إلى معارضة الشرع[2] .

3) الهوى يورث سوء الفهم.

يقرر ابن القيم أن من نعم الله على العبد أن يؤتى فهما صحيحا يميز به بين الحق والباطل والصحيح والسقيم والهدى والضلال والغي والرشاد، وأنه نور يقذفه في قلب العبد، يمده حسن قصده وطويته، ويفسده اتباع الهوى وإيثار الدنيا.

يقول رحمه الله: "وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمده حسن القصد، وتحري الحق، وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى"[3] .

وهو رحمه الله يشّبه القلب بالمرآة التي تنطبع عليها صورة الحقائق، وأن الهوى مثل الصدأ عليها الذي يمنع من ذلك ويجعل علمه وكلامه من باب الخرص والظنون كما قال الله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: 28]"[4]

ويجعل الهوى وسوء القصد أحد أهم الأسباب التي أدت لتأويل النصوص الشرعية بالباطل والانحراف بها عن معانيها الصحيحة التي أنزلها الله لأجلها، لا سيما إذا اجتمع مع ذلك شبهة أخفت عنه الحق في المسألة [5] .

4) الهوى سبب لفتنة الشبهات.

الفتنة التي يتعرض لها العبد نوعان:

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين** (2 / 80).

[2] ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **مفتاح دار السعادة** (2 / 1065).

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **أعلام الموقعين** (1 / 188).

[4] ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان** (1 / 77)، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **والوابل الصيب** (92).

[5] ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **أعلام الموقعين** (5 /162).

أ) فتنة الشهوات.

ب) فتنة الشبهات.

والثانية أعظم وأكبر من الأولى، ومما يؤدي إليها ويكون سببا لها هو هوى الإنسان وفساد قصده، يقول ابن القيم: "ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: 23]" .[1]

المطلب الرابع: علاج آفة الهوى

عقد ابن القيم رحمه الله في آخر كتابه (روضة المحبين) بابًا تحدث فيه عن الهوى وما يتعلق به، وقد بيّن فيه طريقة التخلص والانفكاك عن هذه الآفة وسبل النجاة منها بكلام ثمين[2]، أذكر بعض ذلك فيما يلي:

1. أن يتفكر الإنسان أنه لم يخلق للهوى وإنما خلق لغاية وراء ذلك لا تتحقق له إلا بمخالفة هواه وعصيانه.

2. أن يعلم أن في مخالفته لهواه إغاظة لعدوه ومراغمة له ورد كيده وقهره، وذلك مما يحبه الله كما قال عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة: 120].

3. أن ينظر في عواقب الهوى ومفاسده وما يلحقه من فوات الفضائل والخيرات والطاعات بسبب الهوى وعدم إصابته للحق والهدى وضلاله عنه.

4. أن يعلم أن الله جعل متبع هواه بمنزلة عابد الوثن كما في قوله سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: 43].

5. أن مخالفة الهوى تقوي عزيمة الإنسان وتشدها، واتباع الهوى بعكس ذلك فإنه يوهن العزيمة ويضعفها،

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان** (2 / 900).

[2] ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **روضة المحبين** (629).

والعزيمة هي مطية العبد في سيره إلى الله وتقواه وعبادته.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسجل في نهاية هذا البحث مجموعة من النتائج والتوصيات:

- **أولاً: النتائج.**

1. أهمية التفكير وما يتعلق به في معالجة مشكلات الحياة عموما والمشكلات المعرفية والعلمية خصوصا.

2. عناية الدين والقرآن بقضية التفكير والحث على إعمال العقل وعدم تعطيله مع الحفاظ على الحدود التي يجري فيها دون مجاوزتها.

3. ظهور منهجية واضحة في التفكير لدى الإمام ابن القيم رحمه الله تجلت في مختلف مؤلفاته ومختلف العلوم التي تناولها وحقق فيها.

4. نقد ابن القيم عددا من الآفات التي تؤثر في التفكير وتحرفه عن المسار الصحيح، من أهمها: آفة الجهل، وآفة الهوى، وبين آثارها وسبل علاجها.

- **ثانيًا: التوصيات.**

1. تكثيف الجهود في إبراز الملامح المنهجية للتفكير في الإسلام ودور الوحي في ذلك من خلال تأمل نصوص القرآن وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام.

2. دراسة تراث الإسلام العلمي والفكري في شتى العلوم والفنون واستنباط مناهج التفكير وقضاياه من خلاله.

3. دراسة الشخصيات العلمية ذات الأثر العميق في التاريخ الإسلامي واستجلاء جوانب التفكير المستخدمة لديها وآلياتها والاستفادة من ذلك في معالجة مشكلات الحياة المعاصرة.

4. الاستفادة مما كتب في الثقافات غير الإسلامية لا سيما المعاصرة في قضايا التفكير باعتباره مشتركا بشريا مع التنبّه لما يخالف قيم ديننا واجتنابه.

المصادر والمراجع REFERENCES

[1] The Sahih Hadiths Series, *Muhammad Nasir-deen al-Albani,* Al-Maʻārif Bookstore, 1st Edition.

[2] The Sound and Weak of Sunan Abi Dawood, *Muhammad Nasir-deen al-Albani,* Al-Maʻārif Bookstore, Riyadh.

[3] Sahih Al-Bukhari, *Muhammad bin Ismail Al-Bukhari,* Taken cared by: Muhammad Zuhair Al-Nasser, Dar Al-Minhaj, 3rd Edition.

[4] Chapters on Objective Thinking, *Abdul Karim Bakkar, Dar Al-Qalam,* 5th Edition.

[5] Sunan Al-Tirmidhi, *Muhammad bin Issa Al-Tirmidhi, Dar Al-Ta'seel,* 1st Edition.

[6] Methodology of Scientific Thinking in the Noble Qur'an, *Khalil Abdullah Al-Hadri,* Dar Alam Al-Fawa'id, 1st Edition.

[7] Sunan Abi Dawood, *Suleiman bin Al-Ash'ath Al-Sijistani,* Dar Al-Ta'seel, 1st Edition.

[8] Mukhtar Al-Sihah, Muhammad bin Abi Bakr Al-Razi, investigated by *Youssef Al-Sheikh,* Al-Asriyah Bookstore, 5th Edition.

[9] Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān, Al-Saadi, investigated by Abdul Rahman Al-Luwaihaq, Al-Resala Foundation, 1st Edition.

[10] Teaching Thinking, Fathi Jarwan, Dar Al-Fikr, 3rd Edition.

[11] Al-Qāmūs Al-Muḥīṭ, Majd-Deen Al-Fayrouzabadi, Heritage Investigation Office, Al-Resala Foundation, 8th edition.

[12] Al-Jāmiʻ li-aḥkām al-Qur'ān, Muhammad bin Ahmed Al-Qurtubi, investigated by Hisham Al-Bukhari, Dar A'lam Al-Kutub.

[13] Aʻlām al-muwaqqiʻīn ʻan Rabb al-ʻālamīn, Ibn Al-Qayyim, investigated by Muhammad Ajmal Al-Islah, Dar Alam Al-Fawa'id, 1st Edition.

[14] Ighāthat al-lahfān fī maṣāyid al-Shayṭān, investigated by Muhammad Uzair Shams, Dar A'lam Al-Fawa'id, 1st ed.

[15] Badaa' Al-Fawa'id, Ibn Al-Qayyim, investigated by Ali Al-Omran, Dar Alam Al-Fawa'id, 2nd Edition.

[16] Zad Al-Ma'ad, investigated by *Shuaib Al-Arnaout and Abdul Qadir Al-Arnaout,* Al-Resala Publishers Foundation, 1st Edition.

[17] Shifā' al-ʻalīl fī masā'il al-qaḍā' wa-al-qadar wa-al-ḥikmah wa-al-taʻlīl, investigated by Zaher Balfaqih, Dar Alam Al-Fawa'id, 1st Edition.

[18] Al-Ṣawāʻiq al-mursalah ʻalá al-Jahmīyah wa-al-Muʻaṭṭilah, investigated by Hussain bin Okasha, Dar Alam Al-Fawa'id, 1st Edition (In Arabic).

[19] Madārij al-Sālikīn, investigated by *Muhammad Ajmal al-Iṣlāḥī,* Dar Alam Al-Fawa'id, 1st Edition.

[20] Al-Wabil Al-Saib, investigated by *Abdul Rahman Qaid*, Dar Alam Al-Fawa'id, 2nd Edition.

[21] Sahih Muslim, *Muslim bin Al-Hajjaj Al-Nisaburi*, Taken cared by: Muhammad Zuhair Al-Nasser, Dar Al-Minhaj, 1st Edition.

[22] Lisan Al-Arab, *Ibn Manzur*, Dar Al Ma'aref, Cairo.